Journal Of the Iraqia University (73-6) April (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مصير المختلفين في أصول الدين من منظور القرآن الكريم - دراسة موضوعية-

د. محمد فخرالدين محمد قسم التربية الدينية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين-أربيل

The fate of those who differ in the fundamentals of religion from the perspective of the Holy Quran – an objective study-

Dr.Mohamad Fakhradeen Mohamad
Lecturer in the Department of Religious Education, College of Islamic Sciences, University of Salahaddin-Erbil.
muhamad.muhamad@su.edu.krd

Abstract
This research consists of an introduction, six chapters, and a conclusion. In the introduction, the researcher discussed the dissenters and their danger to the dissenters. In the first, second, third, fourth, fifth, and sixth chapters, the researcher addresses the trial of the dissenters in this world and the judgment of God Almighty for the dissenters regarding the Prophet Jesus - peace be upon him - on the Day of Resurrection.
Keywords:. The fate, differ , Fundamentals, religion, Holy Quran..

ملخص البحث

هذا البحث المعنون(مصيرالمختلفين في أصول الدين من منظور القرآن الكريم– دراسة موضوعية–) يتكون من مقدمة وستة مباحث وخاتمة، أما في المقدمة تناول الباحث المختلفين وخطره على المختلفين، أما المبحث الأول والثاني والثالث يتطرق الباحث إلى ابتلاء على المختلفين في الدنيا وحكم الله تعالى للمختلفين على النبي عيسى– عليه السلام– في يوم القيامة، الفصل والقضاء في اليوم الآخر بين المسلمين وأهل الكتاب، أما المبحث والرابع والخامس والسادس والسابع ذكر الباحث المختلفين بين الرسل– عليهم السلام– والمجزّئين لكتاب الله تعالى لهم،وتلخّص الخاتمة أهم النّتائج الّتي توصّل إليها البحث.**الكلمات الدالة: مصير، المختلفين، أصول، الدين، القرآن الكريم.**

المقدمة

الحمدلله رب العالمين، الذي علم الإنسان بالقلم، علمه ما لم يعلم، وأفضل الصلاة والسلام على نور الهدى، والرحمة المهداة لمن اقتفى، النبي الأمي الذي حذرنا من الاختلاف العقدي والتفرق وحضنا على التمسك والتآلف بين المؤمنين إن شأن الوحدة والاجتماع والتآلف بين المؤمنين في دين الإسلام، شأن عظيم وأمر هام لا يكاد يخفى على كل مسلم، وقد حث الإسلام على الوحدة، ولم الشمل والتآلف، وحذر من الاختلاف في أصول الدين والتخالف و التنافر ، فهو من الداء الذي يعكر الصفو، و يبدد الجهود ، ويشتت الشمل، ويقطع الروابط والصلات، ويورث الحقد والضغينة و الفشل بين المسلمين والأمة بأسرها، و كذلك يولد البغضاء و العداوة بين المؤمنين، بل جَعَلَ الإسلامُ التآلف والاجتماع بين صفوف المؤمنين من أصوله المتينة وقواعده العظام. إن الاختلاف العقدي بما أن له آثار سيئة في الحياة الدنيا يهدد كيان المسلمين ويشتت أمرهم ويشرذم قلوبهم ويضعف عقيدتهم وإيمانهم؛ ولهذا حذر الله تعالى المسلمين وأهل الكتاب منه وهو يشمل التهديد والوعيد من يقوم قولاً وفعلاً على التفرق والانقسام العقدي؛ ولذلك فرغم نتيجته الشنيعة في الدنيا، يبيَّن الله تعالى لهم العقبى السوء في الآخرة، وأيضا أن هؤلاء المتفرقين هم يحصدون ثمرة عملهم الذي قاموا به إثر جهلهم وأقدموا عليه نتيجة حسدهم وتكبرهم وجحودهم وحقدهم، أما ما يتصل بأسباب اختيار هذا البحث تتمثل في : وجود خطر التفرق على المتفرقين في الآخرة، انعكاس هذا الداء على الأمة الإسلامية بأسرها بما له من انشقاق صفهم وضعف عقيدتهم، سهولة تكالب أعداء الأمة عليها بما حصل له من هش وحدته ومهزوز كيانه.

أهميّة البحث:

أهميّة هذا الموضوع تتمثل في عدّة نقاط، وهي كالآتي:

١- خطر الاختلاف العقدي أمر منهي عنه ينبغي الابتعاد عنه، ووحدة الأمّة الإسلاميّة فرض واجب، وقد أقرّ الله تعالى هذا المفهوم، فكانت الأوامر والنّواهي موجّهة للجماعة، وليست للفرد الواحد، فالفرد جزء لا يتجزّء من كيان الأمّة.

٢- وحدة العقيدة، فأصول الأمّة هي أصول عقديّة واحدة، تتمثّل في الأمّة الإسلاميّة المتوحّدة بأصول الدّين التي تنبع من الكتاب والسنة .

٣- تنبثق أهميّة وحدة المسلمين دون الاختلاف العقدي ووسائله، من أنّها سبيل لتوحيد صفوفهم، ولمّ شملهم، وجعلهم كيانًا وجسدًا واحدًا، على اختلاف أعراقهم وأنسابهم وألوانهم وبلدانهم.

٤- وحدة العمل؛ يتعاون المسلمون فيما اتّفقوا فيه، ويعذرون بعضهم فيما اختلفوا فيه، فالاختلاف هنا اختلاف في النّوع وليس اختلاف تضادّ، لا يؤثر سلبًا في إسلام الفرد، ولا في وحدة المسلمين.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث لتحقيق الأهداف التي تتمثل في النقاط الآتية:

١-محاولة إبراز بلاء الاختلاف العقدي الذي هو من أصول الدين في يوم الآخر؛ لكي نرى عظم هذه المصيبة

٢-تحذير شديد لمن انزلق في هذه المهاوي لكي يرجع إليه لبه ورشده ويأخذ ما جاء في القرآن الكريم على محمل الجد من مصير المختلفين يوم القيامة

٣-إظهار قدر تلك المخاوف والتحذير اللذين لحقا بالمختلفين في يوم الفصل إثر اختلافهم.

فرضية البحث:

إن ما يُقتضى من فرضية البحث فيما يتعلق بمصيرالمختلفين في أصول الدين، يتمثل في أن الوحدة هي أمر مطلوب رغم وجود الاختلاف؛ لأن عاقبة هؤلاء المختلفين لاسيما في أصل العقيدة لها عواقب وخيمة في يوم الآخر، وإن الله تعالى قد بيّن لنا في كتابه الكريم هذا الامر وحذرنا من وقوع فيه؛ لأنه ينتج عنه تضعيف العقيدة وهش كيان الأمة الإسلامية.

أسئلة البحث:

أما ما يتصل بأسئلة البحث، هناك جملة من الأسئلة تقتضي الإجابة، منها:

١- ماهي ا لأسباب الّتي تدفع إلى هذا الاختلاف العقدي الّذي يفضي إلى قطيعة يوما بعد يوم؟.

٢- ماالآثار النّاجمة عن ذلكم الاختلاف العقدي على الفرد والأمّة الإسلاميّة وأهل الكتاب في يوم القيامة ؟.

٣- ما هي أسباب التي تدفع الفرق بأن يكون مفطوراً على التمييز نفسه و مجبولاً على الاختلاف لكي يكونوا معرضين للحكم الله تعالى عليهم في الآخرة؟.

٤- ماالأسباب التي تدفع هؤلاء الفرق إلى أن يختلفوا ويفرقوا بين الرسل وأن يجزئوا كتاب الله؟.

٥- لماذا هؤلاء الفرق أصروا على السحر لوقوع الاختلاف العقدي رغم التحذير والتهديد الشديدين بعذاب الله تعالى في الآخرة؟

الدراسات السابقة:

قبل بدء بدراسة هذا العنوان وبُعيدها، بحثت حثيثا في الشبكات العنكبوتية والمكتبات وتحدثت مع أهل الخبرة، وفق ما توصلت إليه لم أطلع على هذا العنوان شكلاً ومضموناً ومنهجاً .

منهج البحث:

اعْتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الموضوعي، الذي يعول على وصف الموضوع أو الظاهرة ثم ترسيخ القواعد والأسس المتينة لها ودراسة الواقع توصُلاً إلى المأمول عبر تحليل المادة العلمية تحليلا موضوعيا واستثمارها وفق أدلة التشريع الإسلامي في ضوء القرآن الكريم.

المختصرات:

١- (د.ن): في حالة عدم ذكر دار النشر

٢- (د.م): في حالة عدم ذكر مكان النشر

٣- (د.ط): في حالة عدم ذكر رقم الطبعة

٤- (د.ت): في حالة عدم ذكر تأريخ النشر

٥- (د.ن.ط.م.ت) دون النشر والطبعة والمكان والتأريخ

المبحث الأول: التعريف بأهم مصطلحات البحث

قبل أن نستهل بكتابة هذا البحث نرى من الضروري أن نعرّف بأهم مصطلحات الواردة في عنوان البحث وهي:

١- **مصير لغةً:** هو"ما ينتهى إليه الأمر يقال مصير المياه ومصير الخلق". (مجمع اللغة: د.ت، ١/ ٥٣١)، أو هو: الموضع الذي تَصِير إليه المياه يقال للمنزل الطيّب: مَصِيرٌ و مِرَبٌّ و مَعْمَرٌ و مَحْضَرٌ. (ابن منظور: ١٤١٤هـ ،٤/٤٧٧).

٢- **مصير إصطلاحاً: هو**" الأمر الذي يصير إليه". (الحميري: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م ، ٦/٣٨٧١).

٣- **المختلفين لغةً:** هو إسم الفاعل ومصدر للفعل الخماسي اختلفَ، الاختِلاف هو ضد الاتفاق. (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ١/٨٠٧)

٤- **المختلفين إصطلاحاً:** هو افتعال من الخِلاف، وهو تعارض بين القولين فيما يجب انفراد القول فيه. (المناوي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١/٤١).

٥- **أصول لغةً:** هي جمع الأصل الذي يتكون من الهمزة والصاد واللام وهو أساس الشيء. (ابن فارس، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ١/١٠٩).

٦- **أصول إصطلاحاً:** هي "عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، أو هي ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره". (الجرجاني، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، ١/٢٨).

٧- **الدين لغةً: هو** "العادة والشأن، وتقول إذا درأت لها وَضيني أهذا دينُهُ أبداً ودِيني، ودانه دينا، أي أذلَّه واستعبده. (الجوهري، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ١/٩).

٨- **الدين إصطلاحاً:** هو" وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم". (الجرجاني، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، ١/١٠٥) أوهو:"اعْتِقَاد الشَّيْء على مَا كَانَ النَّحْو عَلَيْهِ حَقًّا كَانَ أَو بَاطِلا. (السيوطي، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، ١/٧٤).

المبحث الثاني: الاختبار على الاختلاف في الدنيا وإخبار الله تعالى عن اختلافهم وحكمهم في الآخرة

بيَّن الله تعالى في جملة من الآيات عاقبة للمختلفين في الآخرة، ولهذا يكمن فيها التحذير والتهديد على هذا العمل؛لأنهم يواجهون حصاد عملهم ويحصلون على الثواب والعقاب إثر تمسكهم بالوحدة أوتشبثهم بالفرقة والاختلاف. وفي هذا المنطلق لعرض أحوال المختلفين وعقباهم يقول عزّوجلّ:-﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [المائدة: ٤٨]. بصدد تفسير معنى الآية وشرح مغزاها أشار المفسر ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) إلى أن الله تعالى لو أراد أن يكون الناس جميعهم على ملة واحدة وشريعة واحدة ودين واحد لفعله، ولكن مشيئته الله سبحانه دون ذلك، وكذلك دون أن ينسخ شيء منها، بل أنه تعالى شرع لكل واحد من رسله شرعة بمفردها وعلى حدة، حتى أتى محمد رسول الله . ﷺ . إلى أهل الارض كافة وجعله آخر الأنبياء جمعيهم، وألغى جميع الشرائع التي بعث بها من قبله، أو بالأحرى أنه- سبحانه وتعالى- شرع شرائع متباينة؛ ليبتلي عباده فيما أعطاهم من الأوامر والنواهي، وأيضاً حضَّ الله تعالى عباده على مبادرة الخيرات التي تتمثل في طاعاته واحتذاء شرعه، وأن مصير وعاقبة جميعكم إليه في يوم المعاد، وذلك ليخبر تباينهم على الصواب، المائلين إلى غير الحق دون حجة وبرهان، بل هم كانوا يعاندون الحجج البالغة والأدلة الصارخة والبراهين الصارمة، وهذه الآية خطاب موجه لكل أمم وليست لأمة واحدة،؛ لأنه لو أراد به أمة واحدة لقال أمة واحدة، لانه هي أمة واحدة وهذا يُعد دليلا على قدرته تعالى ومشيئته على كل الأمم السابقة.(ابن كثير،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م،١/١٣٠)، وكذلك فإن هذه الآية التي فيها مشيئة الله على اختلاف الأمم هي للتمييز بين الفرقتين،كما يُذكرأن الله تعالى لو شاء لأنشأ كلهم على دين واحد وملة واحدة وهي تكمن في دين الإسلام، ولكن إرادته ومشيئته اقتضت الاختلاف فيما بينهم. (أبو عباس الرازي، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ١/١٤)، وأيضاً لكشف عاقبة المختلفين في الآخرة وحكم الله عليهم والفصل بينهم نتيجة اختلافهم وتفرقهم في الدنيا، نجد أن نبينا . ﷺ . لجأ إلى الله تعالى وابتهل إليه للفصل بين عباده في تلك الأمور الاختلافية كما علمه . سبحانه وتعالى . حيث يقول:﴿**قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٦] .

للوقوف على بيان معنى الآية وشرحها، تناول المفسرون ذلك الموضوع حيث ذكروا أن الله تعالى وجه الخطاب لنبينا محمد . ﷺ . لكي يناديه ويدعوه بأن الذي خلق السموات والأرض،و هو عالم السر والعلانية، أنت هو الذي تقدر على أن تقضي في يوم الآخر بين الذين اختلفوا في شؤون الدين أو بين سبيل الهداية وسبل الضلالة، (السمرقندي، د.ت، ٣/١٨١)، و(الماوردي، د.ت، ٥/١٣٠)كذلك في إطار القضاء على الذين

اختلفوا في أصول العقيدة وفرقوا سبيل الحق واختاروا العمى على البصيرة والتخالف على التآلف والتباعد على التقارب، بلغ الله تعالى نبيه محمداً ﷺ . سوء العاقبة لهؤلاء وأن مصيرهم الخسارة والخذلان، ويبين حالهم وعواقبهم في يوم القيامة ويفصل بينهم، وأنهم اختلفوا وافترقوا في الآخرة بسبب اختلافهم وتفرقهم في الدنيا على الكفر والإيمان كما جاء في قوله – عزّوجلّ:- ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾ [الشورى: ٧] بصدد شرح معنى الآية وبيان مغزاها، أشار أهل التفسير إلى أن الله تعالى ذكّر محمد . ﷺ . بأنه نزلنا إليك هذا القرآن بلسان عربي؛ لأن الذي بعثناك إليهم هم من قوم عرب ليفهموا ما فيه من البراهين والدلائل لأنه بلسانهم، وذلك لتحذر وتخوف أهل مكة وضواحيها وجميع الناس من عقاب الله تعالى في اليوم الذي يجتمع فيه الأولون والآخرون وأهل السموات والأرض وهو يوم العرض والحساب والعقاب والثواب، وهذا اليوم لا مرية فيه أنه سيأتي وسيقع ماوعده الله تعالى، وآنذاك فئة تدخل الجنة بما أنها سلكت سبيل الحق ووحدة المسلمين وحافظت على هدايتها، وصدقوا واتبعوا رسول الله . ﷺ . وعملوا برسالته، وفئة أخرى جحدت بالله تعالى وخالفت رسوله . ﷺ . واتبعت سبل الضلالة والاختلاف والتدابر فمصيرها نار الله المتأججة. (الطبري، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٥٠٣/٢١)، و(الواحدي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ٤٣/٤)، و(البغوي،١٤٢٠هـ، ١٣٨/٤)، و(الجوزي،١٤٠٤هـ، ٥٩/٤)، و(القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ٦/١٦)، و(الخازن،١٤١٥هـ، ١١٦/٦)بصدد مصير هذين الفريقين والحكم عليهما في يوم القيامة، ذُكر أن هذه المسألة تبين واقع الاختلاف في الدنيا على الآخرة حيث يقول:"وكما أنهم اليوم فريقان فريق في راحة الطاعات وحلاوة العبادات، وفريق في ظلمة الشّرك وعقوبة الجحد، فكذلك غداً فريق هم أهل اللقاء، وفريق هم أهل الشقاء والبلاء". (القشيري، د.ت، ٣٤٣/٣)، وأيضاً في إطار بيان الأحوال السيئة لفريق الكفار والجاحدين بالله تعالى وفريق المؤمنين الذين يتمتعون بالنعيم الدائم، ويحصل هذا الاختلاف في يوم القيامة إثر اختلافهم في الحياة الدنيا، وأشار- عزّ وجلّ- إلى هذه المحطة والمصير الذي يدخل فيه أهل الفريقين حيث يقول:- ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ** ﴾ [الروم: ١٤- ١٦]ذهب أهل التفسير إلى شرح معنى الآية حيث ذكروا أن القيامة عندما تقوم يجتمع كل الناس إلى الله تعالى ويُحشرون، ويومئذ ينقسم الناس إلى فريقين، ولا اجتماع بعده أبداً، ففريق التصديق والإيمان يحصدون ثمرة إيمانهم وعملهم في الدنيا، لأنهم عملوا بما أمرهم الله، وتركوا عما نهوا عنه، فيدخلون الجنة مبتهجين ومسرورين، ويعيشون في الرغد والحياة الطيبة، وأما فريق الكفر والجحود، إثر اختلافهم واختيارهم الكفر والجاحد بالله وتكذيب رسله وإنكار النشور والحشر والآخر، والسلوك لمسلك الفرقة الضالة، فيُذهب بهم إلى نار جهنم ولا يغيبون عنها ومعذبين فيها أبداً، وبهذا يريد الله أن يميز بين الفرقة الطيبة والفرقة الخبيثة، (الطبري، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٨١/٢٠- ٨٣)، و(البغوي، ١٤٢٠هـ،٥٧٢/٣)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢٠٣/٤)، و(الخازن،١٤١٥هـ، ٢٠٤/٥)، ويُعلق على هذه الفرق التي تتفرق في يوم الآخرة حيث يشير إلى أن:"فريق منهم أهل الوصلة، وفريق هم أهل الفرقة.فريق للجنة والمنّة، وفريق للعذاب والمحنة.وفريق في السعير ،وفريق في السرور .فريق في الثواب، وفريق في العذاب.فريق في الفراق،وفريق في التلاقي"(القشيري، د.ت، ١١١/٣) استنبط المفسر الرازي(ت: ٦٠٦هـ) عدة مسائل في هذه الآيات حيث ذكر منها: أن الله تعالى اقترن العمل الصالح مع المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولم يقترن العمل السيء مع الكفار؛ لأن الإيمان المجرد دون العمل الصالح مفيد للنجاة ولا يبلغ الدرجات العالية إلّا بإيمانه وعمله الصالح، أما الكافر فهو بمجرد كفره يدخل في الدركات، وثانيها: جاءت روضة منكرة والعذاب معرفة، وذلك لبيان إبراز تعظيم الروضة كما يُشار إلى فلان أنه ذا جاه ومال، والمراد منه مال كثير وعظيم، وثالثها: جاءت كلمة يُحبرون في الآية بصدد المؤمنين بصيغة الفعل؛ لكي ينبيء عن الاستمرارية والتجدد، والمقصود أنهم في كل ساعة يعيشون في سرور وفرح ويأتيهم أمر جديد يبتهجون به، أما بصدد الكفار فهم إذا دخلوا جهنم لا يخرجون منها ويُعذبون عذاباً مقيماً لا يغيبون عنه ويستقرون فيه، (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٨٥/٢٥) . تبين لنا فيما مضى أن الاختلاف العقدي لم يكن متوقفاً على أمر الدنيا فقط، بل هذا التباين قد يأتي مع المختلفين إلى يوم القيامة والذين اختلفوا في الدنيا حسداً أو تكبراً أو إنكاراً، يختلفون في القيامة وكذلك يقضي الله تعالى بينهم، فيميز هناك الحق من الباطل والهداية من الضلالة.

المبحث الثالث: المختلفون على النبي عيسى ـ عليه السلام في يوم الحساب

إن الاختلاف في العقيدة والتباين في المواقف والخلاف في الإيمان والتصديق به لم يبتل به المسلمون وأهل الإيمان في الإسلام فقط، بل كان قد حصل في الأيدولوجيات والأديان بل أكثر من ذلك كان وجود الاختلاف مع وجود الإنسان على سطح الأرض، وذلك عندما دخلت الهوى والمصالح في المسائل لاسيما الدينية والعقدية، وهنا نقف على ذلك الاختلاف العقدي الذي حصل بصدد الحياة وكيفية الاختفاء على الأرض ورفع نبينا عيسى – عليه السلام- إلى السماء، وهذا الاختلاف قد يبين الله تعالى في طيات كتابه العزيز، والذي يدل على ذلك قوله –سبحانه وتعالى:- ﴿

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [مريم: ٣٧] لبيان المراد من الآية وتأويل معناها ذهب أهل التفسير إلى شرحها حيث ذكروا أن النبي عيسى – عليه السلام – لما رفعه الله تعالى إلى السماء، لجأ بنو إسرائيل إلى اختيار أربعة أشخاص من كبارهم، وسألوهم عن مصيره – عليه السلام – وتباين هؤلاء عليه واختلفوا فما بينهم وافترقوا إلى عدة فرق، أولها: ذهب بعضهم أنه كان هو الله نزل من السماء، ووقع في بطن مريم – عليها السلام–، أحيا وأمات، ثم صعد إلى السماء. وثانيها: أنه هو ابن الله. وأما ثالثها: أنه أحد الأقانيم الثلاثة، التي يتكون من: الله ومريم وعيسى– عليهما السلام–، ورابعها أنه: عبدالله ورسوله. وإثر ذلك الاختلاف سلك كل واحد من فرق النصارى مسلك جماعته وتمسك برأيها، وبهذا حصل الاقتتال فيما بينهم، فتوعدهم الله بالعذاب الشديد في الآخرة وفي موطن الشهادة الذي تشهد عليهم الملائكة وأرجلهم على ما قالوا بصدد عيسى وأمه–عليهما السلام– وذلك نتيجة كفرهم وتلفيقهم على الرسول عيسى – عليه السلام– بأنه ليس إلاّ الله أو ابنه أو شريكه. (السمرقندي، د.ت، ٣٧٤/٢)، و(السمعاني،١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ٢٩٢/٣)، و(الجوزي،١٤٠٤هـ، ١٣١/٣)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ١٠/٤)، و(النسفي، ٢٠٠٦م، ٣٣٥/٢)إن عيسى – عليه السلام – هو نبي الله تعالى وهو إنسان بعثه لليهود ليتم رسالة أخيه موسى – عليه السلام – ولكن كما يُذكر أن اليهود والنصارى اختلفا بصدد حياته ورفعه فيما بينهم، فاليهود اتهموه حقداً وحسداً وكذباً: أنه ابن زانية. وأما النصارى فاختلفت بحقه على أنه إما هو الله أو ابنه أو هو ثالث ثلاثة: الأب والابن والروح القدس. وقد توعد الله هاتين الفرقتين بعذاب أليم في يوم القيامة. (الغامد، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، ١٢٧/١) كذلك في جملة الرد على هؤلاء المختلفين بصدد النبي عيسى – عليه السلام– ، وعاقبة أمرهم وحكم عليهم في يوم الحساب، أشار . سبحانه وتعالى . في محكم كتابه إلى أنه بريء من تلكم التلفيقات والاتهامات التي ألقوها عليه بأنه قتل وصلب، بل رفعه الله إليه وأخرجه بين ظهراني الذين كفروا، وطهّره من دنس هؤلاء الكفار ومن هذا المنطلق يقول . عزّ وجلّ:–﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٥٥– ٥٧]تناول أهل التفسير لمعنى الآية وشرحها والمراد بها التي حكت قصة رفع ووفاة نبينا عيسى– **عليه السلام**– حيث ذهبوا إلى أن الله تعالى قد رفعه من الدنيا إلى السماء، ويتوفاه بعد أن ينزل في عهد مسيح الدجال، وطهره ونجاه من الذين كفروا به وآذوه، وأن الله تعالى قد جعل الذين اتبعوا عيسى –**عليه السلام**– في دينه ووحدانيته وإيمانه، سواء كان هذا الاتّباع من أتباعه الحقيقين من النصارى أو أتباع أمة محمد . ﷺ؛ لأنهم هم الذين آمنوا به وصدقوه، هؤلاء فوق الذين اختاروا الكفر والجحود وذلك بالدلائل والبراهين إلى يوم الحساب، ثم جميعهم يرجعون إلى الله تعالى من المؤمنين والكفار ليقضي بينهم في الأمور التي تباينوا فيها وافترقوا عليها في دينهم وأمر عيسى– **عليه السلام**– ثم بيَّن الله تعالى حال الفريقين في يوم القيامة بأن الذين كفروا سيعذبهم عذابا أليما في الحياة الدنيا بالجزية وسبي الذراري والقتل، وفي الآخرة نار جهنم، وأما الذين آمنوا بنبينا محمد وعيسى– عليهما السلام– سينعمون بالثواب جزاء إيمانهم وعملهم وأن الله لا يرحم الكافرين والظالمين الذين جحدوا بالرسل والكتاب المنزل، (السمرقندي، د.ت،٢١٨/١)، و(الواحدي ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م، ٤٤٠/١)ما يتعلق بمعنى الآية وسيما الوقوف على وفاته في الدنيا ورفعه إلى السماء الذي سبب الاختلاف بين هؤلاء الفرق من النصارى على رسولهم عيسى–**عليه السلام**– أشار ابن حزم الظاهري(ت:٤٥٦هـ) إلى أن الوفاة تنقسم إلى قسمين وهما نوم وموت، ووفاة عيسى– **عليه السلام**–كانت من وفاة الموت وليست من وفاة النوم والذي يدل على ذلك قوله تعالى على لسانه حينما قال . عزّ وجلّ:– ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [المائدة: ١١٧]. والصحيح أنه لم يقصد–**عليه السلام**–بهذا القول وفاة النوم، ومن هذا المضمار من قال أنه قتل أو صلب فهو كافر لتكذيبه كلام الله تعالى وخلافه للإجماع، (الظاهري د.ت، ٤٣/١)،وفي هذا الصدد عندما بعث الله تعالى النبي عيسى– **عليه السلام**– لبني إسرائيل ودعاهم إلى وحدانية الله تعالى وإطاعته وعدم معصيته وكذلك للقضاء على تلك الخلافات التي حصلت بينهم، اختلف في أمره هذه الفئات، فتوعدهم الله تعالى بعذاب شديد في اليوم الآخر، جزاءً على اختلافهم وكفرهم في أمر رسوله– **عليه السلام**– ، ومن هذا المنطلق يقول –عزّ وجل–: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٦٣– ٦٥]تناول أهل التفسير لشرح هذه الآية حيث ذكروا أن النبي عيسى – **عليه السلام**– عندما أرسله الله تعالى بآيات الإنجيل والمعجزات والشرائع الصريحات والجليات، وقال: قد أتيتكم بالإنجيل والشرائع، وذلك لأوضح لكم أمر دينكم لتخافوا الله تعالى وتوحدون؛ لأن الله هو ربي وربكم فاعبدوه وهذا هو سبيل الحق والهداية، فتباينت الأحزاب من بينهم بعد عيسى – **عليه السلام**– فهددهم الله تعالى بعذاب الله الموجع لهم وذلك إثركفرهم برسوله وظلمهم لأنفسهم بما جحدوا به. (النسفي، ٢٠٠٦م، ١٠٠/٤)، وهذه الآية يستدل بها وهي

من جملة البراهين على إنسانية عيسى – **عليه السلام**– وأنهم اختلفوا وكفروا به إثر جهلهم وإفراطهم كما يُذكر أن دعوته لقومه الساطعة وواجههم بالحجة، ورفض أن يرفع نفسه عن جنس الإنسان أو مقام النبوة، بل كلمهم بكلمة الإخلاص بجلاء، وهذا يدل على أنه رسول جاء ليوحدهم على وحدانية الله تعالى وعبادته وليس للاختلاف والانشقاق (الرحيلي، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٤م، ٢٣٣/١) اتضح لنا فيما مضى أن اختلاف هؤلاء على عيسى –**عليه السلام**– لم يكن نابعاً عن الحجج والبراهين ولا عن الإيمان الحقيقي الذي ابتغاه الله تعالى من المؤمنين، بلْ نجم ذلك عن الهوى والتكبر والجهل والعنصرية، كانوا غافلين بما أمرهم الله تعالى وبما أراد منهم من بعثته؛لأنهم لو علموا غاية رسالته ونبوته لما ألّهوه ورفعوه فوق الإنسانية ومن ثم اختلفوا ليسخط الله منهم وتوعدهم بالعذاب في الآخرة.

المبحث الرابع: القضاء في اليوم الآخر بين المسلمين وأهل الكتاب فيما بينهم وبين الفرق الأخرى

إن الله تعالى بيَّن للناس عن طريق بعثة الرسل، سبيل الخير والشر وأرشدهم إلى التوحيد والتآلف، وإلى اتِّباع الرُّسل والرسالات، ليحافظ على كيانهم الموحد والتصديق بما أرسله الله تعالى والالتزام به، ولكن هؤلاء من أهل الكتاب وكذلك الفرق الأخرى، لم يبصروا الحق ولم يتبعوا نور الهداية، بل افترقوا؛ وذلك بابتعادهم عن جوهر رسالات رُسلهم التي تكمن في عبادة الله وحده والانصياع لما أمروا به، أو لم يؤمنوا أبداً بما جاء من عندالله، وبقوا في الضلال والظلام، ولهذا أشار الله تعالى إلى أنه يفصل بينهم يوم القيامة ويبين عاقبتهم ويقضي عليهم، ومن هذا المنطلق ذكر –سبحانه وتعالى:– ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [الحج: ١٧]تناول أهل التفسير لبيان معنى هذه الآية وشرحها حيث ذكروا أن الله تعالى سيفصل في اليوم الآخر بين الذين آمنوا بالله ورسله– عليهم السلام– وبين اليهود والصابئين الذين يعبدون النجوم والذين زاغوا عن الإسلام، والنصارى وكذلك المجوس (الذين عبدوا النيران وعظموها وخدموها، ويدعون أن للعالم أصلين النور والظلمة)، وعبدة الأوثان، والأديان ستة: فواحدة من هذه الفرق لله تعالى، والخمسة الباقية للشيطان، وكذلك سيحكم الله عليهم بالعدل، فسيدخل المؤمنين جنة الخلد، وهؤلاء الفرق والطوائف الخمسة كلهم سيدخلون النار، فإن الله تعالى شهيد على كل أعمالهم ومطلع على أقوالهم وضمائرهم وخفاء نفوسهم.(الطبري، ١٤٢٢هـ– ٢٠٠١م، ٤٨٥/١٦)، و(السمرقندي، د.ت، ٤٥٢/٢)، و(ابن كثير،١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، ٤٠٢/٥)، و(الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٥٢٣/٣). أما بصدد ذكر كلمة الفصل فأشار المفسر القرطبي(ت: ٦٧١هـ) إلى أنه يقصد:"بأن يعرفهم المحق من المبطل بمعرفة ضرورية، واليوم يتميز المحق عن المبطل بالنظر والاستدلال". (القرطبي، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م، ٢٢/١٢).كذلك تناول المفسر المراغي(ت: ١٣٧١هـ) حول الحكم على هذه الفرق و عواقبهم في يوم القيامة والفصل بينهم حيث ذكر أن الله تعالى يحكم بين هذه الفرق في الآخرة، ويجازي كل فرقة بما فعلوا، ويحط في موطن الجدير به، وأنه مراقب على أقوالهم وأحوالهم وأفعالهم، وأنه تعالى مقسط في قضائه على هذه الفرق، فيدخل الجنة من آمن به، ويلقي في النار من كفر به.(المراغي، ١٣٦٥هـ– ١٩٤٦م، ٩٨/١٧).

كذلك نجد أن الاختلاف قد حصل بسبب اختيار يوم لتعطيل العمل وأن اليهود قد خالفوا رسولهم وذلك برفضهم يوم الجمعة للراحة وطلبوا مكانه يوم السبت، وأن الله تعالى قد يقضي بينهم يوم الآخرة على هذا الاختلاف، وفي هذا الصدد يقول– عزّوجلّ–: ﴿**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [النحل: ١٢٤]تناول أهل التفسير شرح معنى الآية و بيان مرادها حيث أشاروا إلى أن الله . عزّوجلّ . قد أوجب على اليهود تعظيم يوم السبت وترك الاصطياد فيه؛ وذلك أثر ردهم جعل يوم الجمعة للراحة والعبادة، حيث يُروى أن نبيهم موسى– عليه السلام– أمرهم أن يتفرغوا يوم الجمعة في الأسبوع يوماً للعبادة، فرفضوا ذلك، وقالوا إلاّ فئة قليلة منهم قد رضوا بالجمعة: نحن نختار يوم السبت الذي أنهى الله تعالى منه خلق السموات والأرض، فرخص الله لهم يوم السبت وألزمهم به وشدد الأمر عليهم وابتلاهم بتحريم الصيد في هذا اليوم، وأما الفرقة الراضية بيوم الجمعة فقد أطاعوا الله تعالى ولم يصيدوا فيها، وأما الفرقة المطالبة بيوم السبت، فلم يصبروا على ترك الصيد فيه انصياعاً لأمرالله تعالى، فمسخ الله هذه الفرقة، وأن الله تعالى يقضي بينهم يوم القيامة على اختلافهم، فيجازي كل فرقة من هاتين الفرقتين بما هو جدير بها.(البيضاوي،١٤١٨هـ، ٢٤٥/٣)، و(النسفي، ٢٠٠٦م، ٢٥٣/٢)، و(الأنجري، ١٤١٩هـ، ١٧٣/٣) .

بصدد الفصل بينهم والحكم عليهم يوم القيامة، ذكر المفسر الشوكاني(١٢٥٠هـ) أن الله تعالى يقضي بين المختلفين في يوم الدين، في هذا الأمر الذي يختلفون فيه، فيجازي كل فرقة بما يلائمه من الثواب والعذاب،كما حصل ذلك عندما مسخ الفرقة منهم ونجى الفرقة الأخرى. (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٢٤٢/٣)، وفي إطار الحكم في الآخرة على الذين اختلفوا في دار الدنيا بعامل الضلالة والتكبر والأنانية، نرى أهل الكتاب من اليهود والنصارى يختلف كل منهم عن الآخر وكل فرقة منهم ينفي الإيمان عن الفرقة الآخرى، فالله تعالى سيبين عواقبهم ويقضي بينهم يوم القيامة في أمر اختلافهم على نفي كل فرقة منهم الإيمان عن الآخر ،ومن هذا المنطلق يقول– سبحانه وتعالى–: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ**

وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣] تناول أهل التفسير هذا الموضوع حيث ذكروا أن وفد نجران من النصارى لما حضر مجلس رسول الله . ﷺ . فتجادلوا مع اليهود، فحصل إثر ذلك أن كلاً من الفريقين اليهود والنصارى كفر الفرقة الآخرى وضللها، وذلك في حين أن كلا من الفريقين يتلون كتاباً واحداً وهو التوراة وقد حصل بينهما الاختلاف والتباعد، مع أنه ليس في كتابهم الاختلاف، فدل هذا على بطلانهم وضلالتهم، فيقارن الله تعالى بين الكفار في الأمم الغابرة، وكفار هذه الأمة، وذلك في إنكارهم وجحودهم للأنبياء وكذلك في التباين عليهم، فطريق كل الفريقين بمثابة دين الله تعالى واحد كمن يتلون الكتاب ومن لا يدرك شيئاً من المشركين، فإن الله تعالى يقضي بينهم في اليوم الآخر ويريهم جهاراً مَن منهم يدخل نعيم الجنة ومَن منهم يدخل عذاب النار. (الواحدي، ١٤١٥هـ، ١/١٢٥)، و(السمعاني،١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ١/١٢٧) أشار أبو المعالي الألوسي(ت: ١٣٤٢هـ) إلى النعت السيء لهؤلاء من أهل الكتاب حيث إن من جملة أوصافهم التمسك بعقيدتهم الباطلة والتعصب لها، فإنهم لما اختلفوا و انقسموا ، حمل كل فريق منهم الخطأ على كاهل الآخر. (الألوسي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ١/٤٠)، وكذلك ذكر في موطن آخر بصدد هذه الخصال التي ترفض الحق إلاَّ مع نفسها وفرقته حيث يقول:"لا شك أن هذه من الخصال الجاهلية، وعليه اليوم كثير من الناس، لا يعتقد الحق إلا معه، لا سيما أرباب المذاهب، يرى كل أهل مذهب أن الدين معه لا يعدوه إلى غيره".(الألوسي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ١/٤٥)اتضح لنا فيما مضى أن أهل الكتاب والفرق الأخرى إنما اختلفوا وتباعدوا؛ لأنهم رفضوا الحق والهداية وتنازعوا على الباطل، وكذلك تعصبوا لعقيدتهم الضالة وتباهوا بها، فأفضى بهم إلى هذه العاقبة التي كبرت اختلافهم وأحالوا مصيرهم إلى يوم القيامة، ليقضي بينهم فيما تمسكوا به ووجدوا أن كل واحد منهم على الحق .

المبحث الخامس: المختلفون بين الرسل عليهم السلام والمجزئون لكتاب الله تعالى

إن الله تعالى أكَّد على خطورة الاختلاف وحذر من عاقبة السوء لمن دخل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في دائرة دين الإسلام الحنيف أو من أهل الكتاب، ولكن توعد الله تعالى الذين اختلفوا بين الحق والباطل وقسموا الدين وفق أهوائهم فصدقوا ببعضه وجحدوا ببعضه الآخر، وجزؤوا بين الإيمان بالله تعالى ورسله- عليهم السلام-، بعذاب جهنم الذي يهينهم على فعلتهم هذا، وكذلك يثاب الذين آمنوا ولم يحصل منهم الاختلاف بين الرسل وصدقوا بجميعهم، بالغفران من الله تعالى وجنة الخلد، والذي يبّين هذه الحقيقة قوله -عزّ وجلّ- :﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٠- ١٥٢] تناول أهل التفسير معنى الآية وبيان المراد منها حيث أشاروا إلى أن الذين يجحدون بالله تعالى من أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، يريدون التفريق بين الإيمان بالله تعالى ورسله- عليهم السلام-، بمعنى أن اليهود صدقت بالنبي موسى- عليه السلام- وجحدت بعيسى وبمحمد- عليهما السلام- والإنجيل والقرآن،وكذلك آمنت النصارى بعيسى- عليه السلام- وأنكرت الإيمان بالنبي موسى ومحمد- عليهما السلام- والتوراة والقرآن، وهذا خصال الكافر، ولا يصح الإيمان بالله وتجزئة الإيمان ببعض الرسل- عليهم السلام- دون الآخر أو التكذيب بهم جميعاً؛ لأن كل نبي قد آمن بالذي قبله وصدقه، فتكذيب بعض منهم، يؤدي إلى تكذيب الذي قبله، ويريدون الاختلاف والانقسام وأن يجعل سبيلاً آخر لا مع المؤمنين ولا مع غيرهم أو اتخاذ الطريق بين الكفر والإيمان، ولكن هم الكافرون بسبب هذا الاختلاف، وأكد الله تعالى على كفرهم، لكي يبين لهم أن تقسيم الإيمان كفر حقيقي، وهو لا يتجزأ، وأن الجحود ببعضه، تعني الجحود بكله، وإثر هذا هيأ لهم عذاباً مُذلاً لهم، وأما الموحدون الذين صدقوا بالله تعالى،وصدقوا برسله- عليهم السلام- جميعاً، ولم يجحدوا بالكفر ببعض منهم وتصديق البعض، فيثيبهم على ذلك التوحيد وعدم تفريق الإيمان وتصديقهم بالجميع. (أبو محمد مكي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ٢/١٤١٣)، و(الواحدي ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ٢/١٣٤)، و(البغوي، ١٤٢٠هـ، ١/٧١٧)، و(الجوزي،١٤٠٤هـ،١/٤٩٢)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢/١٠٦)، و(النسفي، ٢٠٠٦م، ١/٢٤٧)، وأيضاً أن الاختلاف في التصديق بين الرسل- عليهم السلام- سيفضي إلى الكفر بالله تعالى، حتى لو آمنوا بوحدانية الله تعالى حيث يُذكر:" الإيمان برسل الله- عزَّ وجلَّ- متلازم، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل- عليهم السلام-" (الحكمي، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ٢/٦٧٦)أيضاً في إطار التحذير وبيان الأثر السيء للاختلاف على المختلفين في يوم الحساب، هددهم الله . سبحانه وتعالى . وأقسم عليهم ليعاقبهم على فعلهم لهؤلاء المجزئين للقرآن الكريم، وذلك لكشف جسامة هذا الأمر، وسوء مآب ينتظرهم، حيث يقول . عزّ وجلّ:- ﴿**كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الحجر: ٩٠- ٩٣]ذهب المفسرون إلى شرح هذه الآية وتوضيح معناها حيث ذكروا أن الله تعالى أراد بهذه الآية هؤلاء المختلفين الذين أتوا على عقاب مكة ليندموهم على اعتناق الإسلام والتصديق بالنبي محمد . ﷺ . أو المقصود بها أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أنزل إليهم التوراة والإنجيل، ولكن جزؤوه فصدقوا ببعضه وجحدوا بالآخر، أوالمراد باليهود والنصارى الذين اختلفوا على

القرآن الكريم آمنوا ببعضه وأنكروا ببعضه، أو اقتسموه سخرية به، فقال منهم: هذه لي، وقال الآخر: هذه لي، وأن أهل مكة قد اختلفوا بسبب أقاويل متباينة حول القرآن الكريم، ومنهم من قال: إنه سحر، وبعضهم قالوا: إنه شعر، وجعلوا بعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين، وأقسم الله تعالى بنفسه بأنه سيسأل عنهم في يوم الحساب والدين عما فعلوا من الشرك والكفر، (السمرقندي، د.ت، ٢٦٢/٢)، و(عبدالسلام، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ١٨٢/٢)، و(السيوطي، د.ت، ٩٨/٥-٩٩)، وحول السؤال عن هؤلاء المختلفين في أصول العقيدة يوم القيامة، أشار المفسر الطبري(ت: ٣١٠هـ) إلى أنه:"يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعما أجابوا المرسلين" . (الطبري، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ١٤١/١٤)تبين لنا فيما سبق أن الإيمان لا يتجزأ والذين كانوا يحاولون تقسيم الإيمان دخلوا في زمرة المختلفين من جهة وفي دائرة الكفر والاستهزاء بالإيمان من جهة ثانية، ففي الحالتين يشمل التهديد الشديد والعقاب الصارم يوم القيامة. ومما يجدر ذكره ان التفريق فيما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من عند الله من الوحي المباشر وما جاؤوا به من الوحي غير المباشر من اسباب الكفر، لاسيما خاتم الانبياء والرسل عليه الصلاة والسلام لانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فكما يجب الايمان بالقران كذلك يجب الايمان بالسنة المطهرة وبعكسه تفريق بين حكم الله ورسوله من حيث الطاعة ولزوم الانقياد.

المبحث السادس: الاختلاف والتباغض بين الناس بجريمة السحر

في نطاق بيان جملة الأسباب سبّبت إلى الاختلاف و التباغض بين الناس وكذلك بين المؤمنين، العمل المنهي عنه هو الكفر الصريح والشنيع، الذي يكمن في عملية السحر الذي يقوم به الساحر بخبث كفره وشركه يخضع الشياطين للاختلاف والتفريق بين الزوجين وبين فئات من المجتمع والناس بأسره، هؤلاء السحرة لم يقصد بعملهم هذا، سوى الغاية من الاختلاف والكراهية والتنازع بين الناس وتفريق في عقيدتهم؛ وذلك لتحقيق مآربهم السيئة، ومن هذا المنطلق أشار . عزّ وجلّ . في محكم كتابه:- ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢]تناول المفسرون معنى هذه الآية وذكروا مسائل فيها بالإطناب ونقف على المقصود منها حيث أشاروا إلى أن اليهود آمنوا واتبعوا كل ما تقرأه وتتقوله الشياطين على ملك سليمان، وتركوا كتاب الله وراءهم، وافتروا على ملك سليمان بأنه لم يكن نبياً مرسلاً ينزل عليه الوحي من الله . سبحانه وتعالى . بل على عكس ذلك فهو عندهم كان ساحراً يستقي المؤازرة والإمداد من سحره، وكذلك أن سحره هو الذي مهد له السبيل ليرسخ له الملك وجعله يستولي على الرياح والطير والجن، فاسندوا بهذا الافتراء الكفر لسليمان، ولكن الله تعالى برّأ سليمان من هذا البهتان، وأكد أن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين جحدوا وكفروا؛ لأنهم يرددون هذه الأقاويل وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم، ومن آثار ما أنزل ببابل على الملكين هاروت وماروت، مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولا له: إنما نعلمك ما يفضي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره، وابتعد العمل به، ولكن الناس لم يستمعوا إلى هذه النصيحة، فعملوا مما تعلموه منهما ما يفرقون ويبتعدون بين المرء وزوجه، لقد كفر هؤلاء العصاة، إذ تقولوا هذا الكلام وتلك الأقاويل، واتخذوها وسيلة لتعليم اليهود السحر، وفي حين أن هذا العمل لن يقدر على أن يضر أحداً إلا بإذن الله تعالى، وأن الذي يأخذ السحر يضرهم في الآخر ولا يجدي نفعاً في الدنيا أيضاً، وهم يدركون يقيناً أن من سلك هذا المسلك لن يكون له نصيب في يوم القيامة، ولوأدركوا ذلك وعقلوه لما اختاروا عملاً في غاية السوء لأنفسهم. (عبدالسلام، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ١٤٧/١)، و(القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ٤١/٢)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٩٧/١) من هذا المضمار ولبيان حكم السحر وأثره العقدي على الإنسان، يُذكر أن هذه الآية تبرهن على أن تعلم السحر والعمل به واتباعه الذي تضمن ما يقتضي الكفر –من التعبد للشياطين أو للكواكب أو نحو ذلك– كفر، وإلا فلا؛لأن الذي استطاع أن تجده الشياطين على ملك سليمان هو السحر، (محسن، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ٣١٤/١، و(المشعبي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٢٩٥/١). وكذلك تناول العلماء هذه المسألة حيث أشاروا إلى أنه من جملة الكبائر، السحر، إذا لم يتضمن ما يقتضي الكفر وإلاّ فهوكفر، وذلك في حين أن الله تعالى بيَّن أنه يضر فقط ولا ينفع، بما ينجم منه الافتراق والضغينة، فإذا أثبت الله تعالى أنه ليس بنافع وهو ضار فقط، فكيف يجوز تعلم شيء وهو ضرر محض؟. (المشعبي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٢٩٥/١)أيضاً لاستنباط المفهوم لإظهار وقع السحر وكيفية فعله، أشار أبو عمرو الداني(ت:٤٤٤هـ)، إلى أن هذه الآية تنص على وجود السحر، وأنَ تلقي هذا العلم سيفضي إلى التفريق بين المرء وزوجه، ويوجه ضرراً فادحاً للشخص المسحور، مع هذا أنه لن يقدر على أن يضر أحداً إلاّ بإذنه تعالى . (الداني، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ٢٣٣/١)كذلك في نطاق بيان حكم وجسامة أمر السحر، ذُكر أن الله تعالى في هذه الآية قضى عليهم

بالكفر وبيَّن أن الذين يتعلمون ويعلمون السحر يشملهم الكفر أيضاً، ويحسبون أن مآل عملهم هذا، هي الخسارة الكبرى في يوم القيامة، فلم يجعل علمهم من السحر وتنبيه المتعلم منه واعتقاد شر مآلهم، مانعاً من تكفيرهم وخروجهم عن الدين.(الحوالي،١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ٤٨٩/١).

تبين لنا فيما مضى أن السحر مندرج في ضمن العوامل التي يحصل بها الاختلاف والانشقاق وذلك في أصغر وحدة المجتمع وهي الأسرة إلى أكبرها وهي الشرائح والفئات المختلفة للمجتمع، فتقع بينهم التباين والحقد و العداوة والتباعد .

المبحث السابع: الفصل بين المؤمنين والمشركين والكافرين في يوم القيامة على الأمور الإيمانية كلها

إن الاختلاف والانشقاق بشتى أشكالها ومظاهرها له مآلات جسيمة على المجتمع الإنساني وكذلك على كيان المسلمين بأسره في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ لأن الاختلاف يخصب الأرضية صوب تضعيف خطاب واحد واللحمة الدينية والأخوية التي نتجت عن وحدة العقيدة والإيمان التي جاء كتاب الله تعالى لأجل الحفاظ عليها وتغذيتها لتبقى قوية وتنمو يوماً بعد يوم؛ لأن الغاية الأسمى لرسالات الله تعالى وحكمة بعثة رُسله- عليهم السلام-، هي توحيد قلوب وأبدان المؤمنين وأن يعيشوا متكاتفين لعبادة الله تعالى وعمارة الأرض في ظل ما أمر الله به، ولكن الخروج عن هذه الحقائق الدينية والأوامر الربانية مدون في كتبه وتم تبليغها من قبل رسله،- عليهم السلام- ، مما يفضي إلى الافتراق في دار الدنيا ، وسيحكم الله تعالى على المختلفين بين الإيمان والكفر وبقية الأمور الدينية العقدية بما يلائمه في الآخرة. وهنا نورد جملة من الآيات التي تبرز هذا الاختلاف الذي سيقضي عليه في يوم القيامة، ومن هذا المنطلق ذكر -سبحانه وتعالى- ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [السجدة: ٢٥]تناول أهل التفسير لشرح هذه الآية وتوضيح معناها، حيث أشاروا إلى أن الله تعالى وجه خطابه لنبينا محمد . ﷺ . قائلاً له إن ربك هو الذي يحكم على عواقبهم ويفصل بين جميع خلقه في اليوم الآخر والذين تباينوا في أصول العقيدة، وما سوى ذلك من أسباب دينهم، فيقضي بينهم، ويميز بين المحق والمبطل والمؤمنين والمشركين، وذلك بإيجابه لأهل الإيمان والحق جنة الخلد، ولأهل الكفر والباطل جهنم، (الطبري، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ١٩٥/٢٠)، و(البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢٢٣/٤)، و(النسفي، ٢٠٠٦م، ١١/٣)، وكذلك لبيان عاقبة المختلفين على كتاب الله تعالى والتصديق برسالته والإيمان بوحدانيته سبحانه، أشار- عزّ وجلّ - إلى أنه يقضي فيما بين الذين اختلفوا في اليوم الآخر حيث يقول:- ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [الشورى: ١٠] ذهب أهل التفسير في شرح الآية وبيان معناها إلى أن الله تعالى يحكم في اختلافكم الذي حصل في أمر الدين، بمعنى أنه يقضي للمصدقين بالقرآن بنعيم الجنة، وكذلك للجاحدين به بجهنم، وقيل: إن هذا الأمر مسألة عامة تشمل جميع الأمور التي تتباين الناس حولها،ففي يوم الآخر يقضي الله تعالى فيه بالفصل الذي يرفع المرية، ويضمحل التباين والاختلاف، فذلك هوالله تعالى الذي يحكم بين المختلفين. (الواحدي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، ٤٥/٤)، و(البغوي، ١٤٢٠هـ، ١٤٠/٤)، و(النعماني، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ١٧٠/١٧)أيضاً أن الله تعالى سيقضي يوم القيامة بين الفرقة الموحدة التي تعبد الله تعالى بالإخلاص، وبين الفرقة المشركة التي تجعل مع الله تعالى إلها آخر، وفي هذا الصدد يقول . سبحانه وتعالى :- ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ** [الزمر: ٣]للوقوف على شرح الآية وبيان المراد منها ذكر أهل التفسير أن الله تعالى نبه الإنسان على أن الدين الحقيقي الخالص هو لله تعالى فقط، والذين جعلوا من دون الله آلهة، كما اعتقد اليهود بقولهم: عزير ابن الله. والنصارى بقولهم: المسيح ابن الله. وكذلك جميع هؤلاء الذين يعبدون الأوثان والأصنام، ويدعون إنما يعبدونهم ليشفعوا لهم في يوم القيامة إلى الله تعالى، وأن الله تعالى يبين مصيرهم ويقضي بين الذين تباينوا في أصول الدين من أهل الأديان، وأن الله لا يرشد ولا يهدي من اعتقد أن الآلهة التي جعلوها أولياء أن تشفع للمشركين والكفار في اليوم الآخر. (الجوزي،١٤٠٤هـ، ٧/٤)، و(القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ٢٣٢/١٥)، وكذلك ذكر الله تعالى أنه يحكم على المشركين يوم القيامة في الأمر الذي حصل به الاختلاف العقدي في الدنيا، حيث يقول . عزّ وجلّ-: ﴿**وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [الحج: ٦٨-٦٩]تناول أهل التفسير معنى هذه الآية حيث أشاروا بأنه تعالى يخاطب محمد . ﷺ . بأن المشركين لوخاصموك بالباطل وجادلوك في ذبائحك، فقل لهم: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم من التكذيب والكفر، وأن الله تعالى يقضي بينكم في اليوم الآخر أي بين النبي . ﷺ . وقومه في شؤون الدين التي كنتم تتباينون عليها، فتدركون حينئذ الفرقة المحقة والمبطلة، وطريق الهداية والضلال. (أبو محمد مكي، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ٤٩٣٠/٧)، و(القرطبي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ٩٤/١٢)أيضاً ذكر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) بصدد بيان معنى الآية حيث ذكر أنهم إنْ نازعوك في الحق والحجة الواضحة، فقل لهم: إن الله تعالى أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة فيحاسبكم عليها، وهو تهديد فيه لين، وأن الله يفصل بين الكافرين والمؤمنين في يوم القيامة بالعذاب والثواب في أمر الدين،كما فصل بينهما في الحياة الدنيا بالآيات والبراهين، (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٧٨/٤)،وفي دائرة أخبار

فرقة المشركين والمؤمنين وبيان الفصل بينهم في يوم القيامة فيما تفرقوا فيه، ذكر أن المشركين سيأخذون جزاء آثام نِدهم لله تعالى في يوم الآخر، ومن هذا المنطلق بيَّن . سبحانه وتعالى . هذه الحقيقة حيث قال:- ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١٦٤] تناول علماء التفسير توضيح معنى الآية وتفسيرها وبيان المراد منها حيث ذكر أن الله تعالى خاطب محمد . ﷺ . بأن يقول للمشركين أتريدون مني أن أطلب غير الله تعالى رباً أعبده، في حين أنه خالق كل شيء له ما في السموات والأرض، وأنتم لا تستطيعون أن تكفلوا لي ما يصيبني كما تزعمون وتدعون؛ لأن الله تعالى ربط عمل كل إنسان بنفسه، إن كان خيراً فله وإن كان شراً فعليه، ولا تقدر نفس أن تحمل إثم نفس أخرى، وعاقبة جميعكم في الآخرة، فيخبركم الله تعالى فيما تتباينون فيه في أمور الدين، وبالمعاينة فيكشف الله لكم الحق من الباطل، (السمرقندي، د.ت، ٥٠٠/١)، و(الأنجري، ١٤١٩هـ، ١٩٣/٢)، وكذلك أن الله تعالى أخبر بأن الذين اختلفوا في الدنيا باختيارهم الكفر وزيغهم عن سبيل الهداية، فإنهم يرجعون إليه في يوم القيامة فيحكم عليهم ويُجزون بما اكتسبوا من عملهم حيث يقول . عزّ وجلّ .: ﴿**إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [الزمر: ٧] ذكر أهل التفسير أنهم إن أنكروا وحدانية الله تعالى وجحدوا به، فإن الله تعالى غني عن كفرهم وعبادتهم لسواه، ولا يقبل الجحود لعباده والكفر به، ولكن يقبل من يؤمن به ويشكره ويوحده ويطيعه، ولا يحمل أحد إثم غيره، ثم بعد الإيمان والكفر في الدنيا عقباكم في يوم القيامة، فيخبركم بما اكتسبتم من عمل الخير والشر ويجازيكم المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه، وإنه عالم بما أضمرت قلوبكم. (الطبري، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ٢٦٠/٢١)، و(السمرقندي، د.ت، ١٧٨/٣)، وفي إطار بيان شدة الاختلاف في الدنيا والحكم عليهم في يوم القيامة، ومن هذا المضمار ذكر الله- عزّوجلّ- حلف هؤلاء من فرقة الكفار بإنكار البعث بعد الموت، وفند زعمهم الباطل وإيمانهم الزائف وتكذيبهم بما قالوا،حيث يقول-سبحانه وتعالى- : ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ** ﴾ [النحل: ٣٨-٣٩]ذهب أهل التفسير في شرح معنى الآية وبيان المراد منها إلى أن المشركين اجتهدوا في الحَلِفِ وشدَّدوا في الإيمان على استبعاد البعث والنشور بعد الموت، وكذبوا الرسل ورسالاتهم في ذلك القول، فنقيضاً لزعمهم ردَّ الله تعالى عليهم وكذَّبهم، بأن يوم البعث لابد منه أن يقع؛لتنزيه فعله من العبث، ولكن بسبب جهلهم، فإن كثيراً من العباد لا يدركون ذلك، ويناهضون الرسل ويقعون في الجحود والكفر؛ لأن الله تعالى يحييهم في يوم القيامة لحكمته حتى يظهر لهم ويفصل بين الحق والباطل ويميز بين المحق والمبطل، وكذلك في كل شيء يتباينون فيه، وذلك لكي يعلم الذين كفروا بأقسامهم وأيمانهم الغليظة، والذين جحدوا يوم البعث، أنهم كذبوا في ذلك الاعتقاد، ويلقى المنكرون للبعث في عذاب جهنم(ابن كثير، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ٥٧١/٤)، و(الأنجري، ١٤١٩هـ، ١٢٧/٣)، وانبثاقاً على حقيقة البعث وحكمته تعالى في ذلك ذُكر:"أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازي كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة" . (العثيمين، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ١٤٧/١)، وأيضاً لكشف جسامة أمر الذين اختلفوا في دار الدنيا على الرسالة الربانية التوحيدية التي تتمثل فيما جاء به نبينا محمد . ﷺ . بأن الذين جحدوا به ولم يؤمنوا بما أمر الله به، سيتعرضون إلى نار جهنم ويعذبون عذاباً بليغاً، ومن هذا المنطلق يقول- عزّ وجلّ-: ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ** ﴾ [الحج: ١٩]لبيان المقصود من الآية وشرح معناها تناول أهل التفسير توضيحها حيث بينوا أن أهل الكتاب نازعوا المؤمنين وجادلوهم حينما قالوا: نحن أولى بالله تعالى، وكتابنا أقدم من كتابكم، ونبينا جاء قبل نبيكم، فردّهم المؤمنون بقولهم: نحن أحق بالله تعالى، ونحن آمنا بنبينا ونبيكم وكذلك آمنا بما أنزله الله من الكتاب، وأنتم تعرفون نبينا محمداً . ﷺ ثم أنكرتم وكفرتم به بغياً وحقداً وحسداً، والذين جحدوا به خيط لهم لباس من النحاس، فيذوب على رؤوسهم الماء الحار ليدخل في بطونهم ويخرج من أدبارهم. (الجوزي، ١٤٠٤هـ، ٢٢٨/٣)، و(الخازن،١٤١٥هـ، ٩/٥)، وأيضاً في إطار خطورة أمر الاختلاف على الذين اختلفوا وخالفوا أمر الدين ومناهضة الحق وسلكوا غير سبيل الهداية التي جاء بها نبينا محمد . ﷺ . ، فيتوعدهم الله عذاباً شديداً في يوم القيامة جزاءً على ما اكتسبوا من التدابر والانقسام، وفي هذا الصدد يقول . عزّ وجلّ .: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[الأنفال:١٣]، وكذلك في آية أخرى يقول . عزّ وجلّ . :﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٤]ذهب أهل التفسير في شرح معنى الآية إلى أن الكفار حاربوا أمر الله تعالى ورسوله . ﷺ . أو أنهم باينوا المؤمنين الذين هم أولياء الله تعالى، ومن عمل هذا العمل، جعلوا أنفسهم في شق والمؤمنين في شق آخر، فإن لهم عاقبة السوء والعذاب في الدنيا،

ومصير أسوأ ينتظرهم وهو عذاب جهنم الذي وعدهم الله تعالى وهيأه لهم في يوم القيامة بعد ما حاق بهم في الدنيا. (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٥٢/٣)، و(الخازن،١٤١٥هـ، ١٥/٣)، و(جەليزاده، م،م، ٢٠٢٠م، ١٥/٢)كذلك لبيان قسوة عذاب يوم القيامة لأهل الاختلاف في الدنيا الذين اختلفوا في صفوف وحدة المسلمين سخروا بعقيدتهم وإيمانهم وجحدوا برسالتهم ورسولهم وفضلوا الكفر على الإيمان، وفي هذا الصدد أشار. سبحانه وتعالى . إلى هذه الواقعة التي ستحدث لهؤلاء الفرقة الضالة في يوم الآخرة حيث يقول- عزّ وجلّ-: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٥- ١١١] تناول أهل التفسير بيان معنى الآية وبيان المقصود منها فذكروا أن الله تعالى يسأل هؤلاء الكفار على سبيل التوبيخ ألم تُعرض عليكم القرآن الكريم لتؤمنوا به، فجحدتم به تعنتاً وظلماً، في حين أنه كان آياته صريحات وواضحات ولا فرق بين الحق والباطل؟، قال الكفار: ربنا استولى علينا شهوتنا منبثقة عن الظلم والبعد عن الحق والمنفعة في الدنيا، وكنا قوماً في عملنا زائغين عن الحق، وقالوا: ربنا نجنا من هذا العذاب فعندما رجعنا إلى الدنيا لن نعود على ظلم أنفسنا. فوبخهم الله تعالى وزجرهم زجر الكلاب لكي يصمتون عن طلب الخروج من النار، وبيَّن لهم السبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال من الإهانة والعذاب، حيث إن في الدنيا عندما دعت فرقة من المؤمنين التوسل بربوبيته ورحمته، أنتم احتقرتم واستهزءتم بهم، وبسبب فرط استهزائكم وتهكمكم بهم، نسيتم ذكري، وجاء هذا اليوم ليأخذ هؤلاء المؤمنون ثوابهم بما تحملوا على طاعتي ومن مشقة السخرية منهم، وأنهم اليوم نجوا بأنفسهم من النار يتمعتون بالجنة لينعموا المقيمين فيها.(أبو السعود، د.ت، ١٥٢/٦)، (السعدي، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ٥٦٠/١) تبين لنا فيما سبق أن الله تعالى بيَّن من خلال جملة من آياته التي تكشف عن فظاعة الاختلاف في أصول العقيدة والدين وآثارها السيئة في الدنيا والآخرة، وأوضح أن الاختلاف عامل رئيس للهلاك الحقيقي، وأنهم خسروا في الدارين، وظهر لنا أن عامل الانقسام قد شمل كل أنواع الاختلاف ومعانيه والسبل المفضية إليه سواء كان هذا الاختلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمؤمنين أو بين المشركين والمؤمنين أو بين المؤمنين أنفسهم بسبب الفرق والجماعات التي اختلفوا وفرّقوا وحدة المسلمين وتماسك كيانها وحولتها إلى الذل والهوان، وأن الله تعالى استوجب علينا التمسك بحبله المتين ورسالة رسوله الأمين؛ ليبعد عنا تلك النتائج التي نجمت عن هذا الاختلاف والتدابر التي لها وقع عظيم على الأمة الإسلامية والفرد المسلم بغية محاسبة وعقوبة مقترفيها في الآخرة

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث الى جملة من النتائج وهي تتمثل فيما يأتي :

١- إنّ كثرة النصوص الواردة في القرآن الكريم فيما يتعلق بالتفرق العقدي، يدل على خطورة هذا الأمر يوم القيامة وعظمة هذه المسألة على عقيدة المسلمين والأمة الإسلامية بأسرها.

٢-إن الذين اختلفوا في الدنيا تكبراً أو حسداً أو إنكاراً، أيضاً يختلفون في يوم القيامة.

٣- إن الله تعالى يميز بين الغي والهداية والخبيث والطيب ويحكم بينهم فيما اختلفوا .

٤-إن اختلاف أتباع نبي الله عيسى-عليه السلام- لم يكن ناجما عن الدلائل والحجج الإيمانية القوية، بل نبع ذلك عن الجهل والتعصب والتفاخر والهوى، فنسوا الأمر ما ابتغاه الله منهم؛ لأنهم لو علموا حقيقة مبعثه لما اختلفوا عليه ورفعه إلى مرتبة الألوهية ويلحق بهم سخط الله تعالى.

٥-التنازع عن الباطل وعدم الخضوع للحق والاستسلام للهداية الربانية وتمسك كل فرقة منهم لعقيدتها الضالة والتعصب لها، قد ينجم عنها الاختلاف والتباعد بينهم كما نجد ذلك من أهل الكتاب والفرق الأخرى، وهذا أدى بهم إلى إحالة عقباهم إلى يوم القيامة ليقضي الله بينهم .

٦-إن أصول الإيمان موحد لا يتجزأ والذين كانوا يحاولون تجزئة الإيمان دخلوا في صف المختلفين من جهة وفي بوتقة الكفر والاستهزاء بالإيمان من جهة ثانية، ففي كلتا الحالتين يحويهم التحذير الشديد والعقاب الصارم في يوم القيامة عندما يحكم الله تعالى بينهم.

٧- السحر له دور مؤثر وباع طويل الذي يحصل به التفرق العقدي والاختلاف والانشقاق في العائلة ثم يرتفع إلى الفئات والمكونات والشرائح المختلفة للمجتمع، فيقع بينهم الحقد والاختلاف، أن من سلك هذا المسلك لن يكون له نصيب في يوم القيامة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ابن فارس، أ، ز،(المتوفى: ٣٩٥هـ)، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة: المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط).

٢- ابن كثير، أ،إ،ع،(١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، (د.م)، الطبعة الثانية.

٣- ابن منظور، م،م،ع، (المتوفى: ٧١١هـ)، (١٤١٤هـ)، لسان العرب: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة .

٤- أبو السعود، م،م،م،(د.ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى .

٥- أبو عباس الرازي، أ،م،أ، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، كتاب حجج القرآن، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني الأزهري، دار الرائد العربي- بيروت، الطبعة الثانية.

٦- أبو محمد مكي، أ، ح، م،(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الطبعة الأولى.

٧- الألوسي، أ، م، ش، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، غاية الأماني في الرد على النبهاني، تحقيق: أبو عبدالله الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى .

٨- الألوسي، أ، م، ش،(١٤٢٢هـ)، فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب –رحمه الله-)، تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف، (د.ن.م)، الطبعة الأولى.

٩- الأنجري، أ، أ، م، (١٤١٩هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور. حسن عباس زكي- القاهرة، الطبعة الأولى .

١٠- البغوي، أ،م،م، (١٤٢٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى .

١١- البيضاوي،ن،أ،ع،(١٤١٨هـ)،أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى .

١٢- الجرجاني، ع، م، ع، (المتوفى: ٨١٦هـ)، (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى.

١٣- جەليزاده، م،م، (٢٠٢٠م)، تەفسیری کوردی بۆ کەلامی خواوەندی: خانەی رینوێن- سلێمانی، چاپی دووەم. الجوزي، ج،أ،ع،(١٤٠٤هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة .

١٤- الجوهري، أ، إ، ح، (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة .

١٥- الحكمي، ح، أ، (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى.

١٦- الحميري، ن، س، (المتوفى: ٥٧٣هـ)، (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر الطبعة الأولى.

١٧- الحوالي، س،ع،(١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، دار الكلمة، (د.م)، الطبعة الأولى .

١٨- الخازن، ع،ع،م،(١٤١٥هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل(تفسير الخازن)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى .

١٩- الداني، أ، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م)، الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، تحقيق: دغش بن شبيب العجمي، دار الإمام أحمد – الكويت، الطبعة الأولى .

٢٠- الرازي، أ، م، (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة.

٢١- الرحيلي، ح،أ،ف، (د.ت)، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

٢٢- السعدي،ع،ن،ع، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، (د.م)، الطبعة الأولى .

٢٣- السمرقندي، أ،م،إ، (د.ت)، بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت، (د.ط).

٢٤- السمعاني، أ،م،م، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، تفسير القرآن(تفسير السمعاني)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى .

٢٥- السيوطي، ع، أ، ج، (د.ت)،الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى .

٢٦- السيوطي، ع،أ،ج، (المتوفى: ٩١١هـ)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:.المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة،، الطبعة الأولى.

٢٧- الشوكاني، م، ع، م، (١٤١٤هـ)، فتح القدير(تفسير الشوكاني)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق- بيروت، الطبعة الأولى .

٢٨- الطبري، م،ج،ي، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: الدكتور. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الدكتور. عبد السند حسن يمامة، دار هجر (د.م،ط).

٢٩- الظاهري، ع، أ، س، (د.ت)،المُحلى بالآثار، دار الفكر- بيروت، (د.ط).

٣٠- عبدالسلام، أ، ع، (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، تفسير القرآن (تفسير العز بن عبدالسلام)، تحقيق: د.عبدالله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة الأولى.

٣١- العثيمين، م،ص،م،(١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا، (د.م)، الطبعة الرابعة.

٣٢- العربية، مجمع اللغة بالقاهرة (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، (د.ت)، المعجم الوسيط: دار الدعوة، (د.م.ط.ت) .

٣٣- الغامدي، م،ع،ز،(١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، حماية الرسول- صلى الله عليه وسلم- حمى التوحيد، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى .

٣٤- الفيروزآبادي، م،أ،م، (المتوفى: ٨١٧هـ)، (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة.

٣٥- القرطبي، أ،م،أ، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب- الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى .

٣٦- القشيري، ع، ه،(د.ت)،لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة.

٣٧- الماوردي، أ،م،م، (د.ت)، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية(د.ط) .

٣٨- محسن، ح،م،ح،(١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار المؤيد، (د.م)،

٣٩- المراغي، أ، م،(١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده - مصر، الطبعة الأولى.

٤٠- المشعبي، ع، س،(١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام،أضواء السلف المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

٤١- المناوي، ز، م، ع، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب -القاهرة، الطبعة الأولى.

٤٢- النسفي، أ، ع، أ، (٢٠٠٦م)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي)، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار، دار النفائس (د.ط) .

٤٣- النعماني ، أ، س، معوض، ع، أ، (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

٤٤- الواحدي، أ، أ، م،(١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد (التفسير الوسيط للواحدي)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور. أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور.عبدالرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، الطبعة الأولى .

٤٥- الواحدي، أ، ع، أ،(١٤١٥هـ) ،الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(الوجيز للواحدي)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى .